



المضاعفات الصحية لحروب الخليج ماهو عمق المأساة؟

الجزء الثاني

د. مي رمزي الارناؤوط
طبيبة وباحثة اكااديمية مستقلة
اخصائية في السرطانات والطب العام

2. العوامل الكيميائية التي ثبت استعمالها في النزاعات واضرارها الصحية بصورة عامة:

من الجدير بالذكر هو أن العمليات العسكرية التي صاحبت النزاعات السياسية في منطقة الخليج ما بين 1991-2003 كانت الأولى من نوعها في تاريخ الحروب على الكرة الأرضية، حيث أُستعملت فيها عسكرياً عوامل كيميائية وفيزيائية وتقنيات جديدة لم تعلن في وقتها، غير أنها أصبحت معروفة الآن. ومن أهم هذه العوامل التي ثبت استعمالها وثبتت أضرارها الصحية بصورة لا تقبل الشك، وهي:

1. اليورانيوم المنضب المشع (DU) الذي يسبب التلف الوراثي (الجيني) للحمض النووي دي. ان. أي. DNA في نواة الخلية بدرجات وأنواع مختلفة تتراوح حسب نوع ودرجة هذا التلف أو الطفرة الوراثية الحاصلة على أثره ما بين العقم في الجنسين والاجهاض المبكروالتشوهات الجنينية إلى ظهور السرطانات المختلفة.

وقد قام الاطباء والعاملين في المستشفيات الحكومية في العراق على الأقل بنشر عدداً من الاحصائيات المهمة لتوثيق ظهور وأعداداً وأنواعاً هذه السرطانات في مختلف انحاء العراق شمالاً ووسطاً وجنوباً (201 و2). أما في المناطق الخليجية الأخرى، فهناك تحفظ أكثر في نشر هذه المعلومات ولأسباب غير واضحة تماماً (3). كما أن هناك اعداداً لا يستهان بها من تلك الحالات السرطانية من مختلف المناطق المتعرضة لليورانيوم المشع يتم علاجها خارج منطقة الخليج سواء في البلدان العربية المجاورة أم في انحاء العالم الاخرى وخاصة في الدول الاوربية والتي قد لاتشمل في هذه الاحصائيات.

2. الفسفور الأبيض القتالي (WP) (وذلك لتفريقه عن الفسفور الابيض الحارق incendiary الذي يسمح به لاغراض عسكرية غير قتالية) والذي تسبب استعماله بتركيز عالية عام 2003. 2004 في ظهورانواع متعددة وغير مسبوقه من التشوهات الجنينية التي يتم توثيقها في منطقة الفلوجة بالذات بصورة مستمرة وبجهود فردية من قبل الطبيبات والاطباء والعاملين في المستشفيات الحكومية هناك (4و5)، وهناك دراسات منشورة حول هذا الموضوع بشكل احصائيات ومقالات ووصف علمي لتلك الحالات هي غيض من فيض من المعلومات العلمية والسريية التي يستوجب ان يكون للعرب السبق العالمي في دراستها



وتفصيلها ونشرها فهذه الحالات لا تزال تفتقد الى الدراسات العلمية المنظمة والرصدية بشأن التأثيرات الوراثية والخلوية للفسفور الابيض والوسائل الوظيفية والمرضية الكامنة خلف ظهور الامراض في الجسم بسببه. وسنحاول في مقال لاحق تقديم نظرية في الاسس المافوق وراثية (الابيجينية) التي قد تكمن خلف التشوهات الجينية بسبب الفسفور الابيض.

3. التيتانيوم والحديد: والذين ثبت ان جزيئتهما الدقيقة التي وجدت مستقرة في انسجة الرئتين بنسب معينة هي التي استعملت في الاسلحة انذاك تكمن وراء ظهور إتهاب القصبيات المتقلصة constrictive bronchiolitis وتليف الرئتين lung fibrosis في العسكريين الامريكان والتي عزيت في البداية الى استعمال اسلحة كيميائية خفية والى جزيئات الرمال الملوثة او الاثنيين معا (796) وقد لوحظت حالات متشابهة في العراق ومنطقة الخليج وصفت بالربو او بمرض الاسكان تباعا والتي عزيت الى تراب اليورانيوم المنضب (198).

وهناك مواد كيميائية اخرى كالكروم والنيكل والرصاص والزرنيخ والنحاس وغيرها وجدت ايضا بتراكيز عالية وسامة في البيئة والبشر (9) بعد القتال في المنطقة. وسواء كانت هذه التراكيز العالية مقصودة أم أن وجودها يعزى الى استعمال تلك الأسلحة بكميات هائلة غير مسبقة فالجواب لا يؤثر على حقيقة الأضرار الصحية التي ثبت علميا علاقتها بالاسلحة الحربية من خلال بحوث صمم اكثرها لهذه الاغراض أجريت في خارج المنطقة تماما كالولايات المتحدة واوروبا والتي شوهدت واقعا في المتعرضين لها من كل الاطراف . وستتناول هذا الموضوع بتفاصيل أكثر لاحقاً.

ومع ان حقل العمليات العسكرية كان منحصرا عام 1991 في مناطق حدودية معينة على الاغلب و بهدف المنشآت العسكرية اوشبه العسكرية دون غيرها الا ان هذا لم يمنع من ظهور حالات مرضية شديدة وبصورة حادة في غضون فترات قصيرة بعد العمليات بدت واضحة في الاف السكان المدنيين المحليين واطفالهم بصورة لاتقبل الشك. ولم يخلو ظهور هذه الحالات المرضية في تلك الاونة من المناوشات السياسية والاتهامات المتبادلة بل وحتى محاولات نكرانها التام حيث منع التصريح بوجودها او اعلانه تماما في بداية الامر الا ان هذا لم يؤثر على حقيقة ظهور هذه الحالات سواء في الهيئات الصحية والاجتماعية كواقع جديد ينبغي التعامل معه بشكل او باخراو في القطعات العسكرية نفسها كأمراض تتعلق بالوظيفة وما يتبع ذلك من علاج وتعويضات (9).

وبعد تكرار استعمال هذه العوامل السامة والمسرطنة ما بين عامي 2003 و2004 في العراق بصورة شاملة وعلى المناطق المأهولة دون تفريق في هذه المرة ارتفعت نسبة الوفيات في الاطفال الى 4 مرات مقارنة بالاردن و8 مرات مقارنة بالكويت. كما زادت حالات السرطان 4 مرات في البالغين والى 12 مرة في الاطفال بحيث أن احدى الصحف البريطانية المعروفة اعتبرت تأثيرات ماتعرضت له المنطقة من اليورانيوم المشع بأسوأ القنبلة النووية في ناكازاكي (11).



وهناك من حاول نكران استعمال تلك الكيماويات والفيزيويات او وجود اضرار تتعلق باستعمالها في السكان. ومع ان هذا الموقف كان متوقعا في البداية باعتبار النكران نوع من (الدفاع النفسي) الا أن الاستمرار في هذا مع وجود حقائق ودلائل دامغة ظهرت وتجمعت بصورة تدريجية وتلقائية وبمرور الزمن هواما ظاهرة نفسية غير طبيعية او سذاجة متناهية. والأهم من كل هذا هو أن هذه الاعراض المرضية غيرت التوزيع الابدائيولوجي لبعض الامراض في المنطقة منذ ذلك الحين ولحد يومنا هذا وربما إلى الابد وذلك لاستشرائها وقابليتها على الانتقال الوراثي كما سيأتي في مقال مفصل حول هذا الموضوع. وهنا يصح القول بلغة عربية صريحة ان تلك الامراض تخللت في (صلب) المجتمع العربي بحيث ان نكرانها لايقدم بعد ذلك وإنما يؤخر فقط.

أما الذي صدق ان تلك الحالات كانت مؤقتة وزائلة مع الوقت فاغلب الظن هو انه لم يكن في علمهم الكامل أو استيعابهم نوعيات وكميات العوامل التي استعملت في الاسلحة وتأثيراتها على جسم الانسان والاحياء الاخرى والبيئة بكاملها في المنطقة. والحقيقة أنه لم يكن في الوسع معرفة كل هذا انذاك لأن الكثير مما استعمل كان يجرب لأول مرة في الانسان والبيئة على خلفية علمية بسيطة ومبدئية لم تتعدى انذاك الخواص الكيماوية والمختبرية لتلك العوامل وربما بعض التقارير الفردية عن الاضرار الصحية المبدئية للتعرض البشري الغير مقصود كالتعرض اثناء العمل في مناجم اليورانيوم المشع او التعرض بسبب الحوادث كما في معامل الفوسفات والزرنخ الكيماوية مثلا. وفي كل الاحوال فقد ثبت بمرور الوقت بان تلك الامراض التي ظهرت فجأة انذاك استمرت بعدها بالظهور باشكالها غيرالمسبوقة ولحد يومنا هذا وبعد مرور اكثر من جيل كامل على استعمالها.

ونأمل في نشر هذا النوع من المعلومات أن يقتنع ذوي المواقف السلبية بالعدول عن مواقفهم واعادة النظر بالادلة العلمية التي توفرت خلال الـ 27 سنة الماضية من جميع الاطراف لأن الاراء السلبية تقف حجر عثرة في طريق التخطيط الصحي والبيئي والاقتصادي على مستوى منطقة الخليج ككل فلا هذه العوامل اترى الحدود الجغرافية المرسومة على الخريطة ولا يعرف المرض شيئا عن النزاعات السياسية .

المصادر:

1. Al-Azzawi, S. 2006, Depleted Uranium Radioactive Contamination in Iraq: An Overview. Presented at the 3rd ICBUW International Conference Hiroshima, August 3-6 2007
2. Habib, O. et al, Cancer Registration in Basrah 2005, Asian Pacific J. Cancer Prev.; 8 : 187-190



3. Waness, A. et al, 2011. Respiratory disorders in the Middle E: A Review, Asian Pacific Society of Respiriology ;16 (5): 755-766
4. Alaani, S. and Miri, A.A. 2013. Case report: left hand Acheiria in 3 newborns with a period of 3 months during the year 2011 in Falluja general hospital 2013. Clinical Medicine Research;2 (4):84-88
5. www. Birthdefects.FGH
6. King et al, 2011, Constrictive Bronchiolitis in soldiers returning from Iraq and Afganistan. N.Eng.J.Med,365:222 -230
7. Szema,A. et al 2011. Respiratory Symptoms Necessitating Spirometry Among Soldiers With Iraq/Afghanistan War Lung Injury, JOEM Sept. ;53 (9):961-965
8. Korényi –Both, A., 2000. The role os sand in chemical warefare agent exposure among Persian Gulf War veterans: Al-Eskan disease and “dirty dust”, Mil. Med. May;165 (5): 321-336
9. Al-Sabbak,M. et al 2012, Bulletine of Environmental Contamination and Toxicology; 89 (5):937-944
- 10.Tiechman, Ron, 2012. Exposures of Concern to veterans Returning From Afghanistan and Iraq, JOEM; 54 (6) November: 677-681
- 11.Patrick Cockburn,The Independent, Saturday 24 July 2010, Toxic legacy of US assault on Falluja ‘worse than Hiroshima.’

البريد الإلكتروني للكاتب: drmayramzey@yahoo.com